لغز . .

من الألغاز التى تواجه العلماء : لماذا تهاجر الطيور والأسماك من قارة إلى قارة ؟

فهناك هجرات معروفة الطرق والمواعيد للأسماك والطيور .. فهى تقطع ألوف الأميال أيام . . وأحياناً فى سنوات ، لتضع بيضها ، وبعد ذلك تموت . وآراء العلماء مختلفة فى تفسير هذه الظاهرة .. فهم يقولون إن السبب هو تيارات الهواء أو تيارات الماء .. أو المجالات المغناطيسية .. أو الملوحة الموجودة فى الهواء أو فى الماء . لكن لا أحد يعرف كيف تختار هذه الحيوانات طريقاً واحداً ثابتاً لا تغيره. هذه البوصلة السحرية المركبة فى رؤوس هذه الحيوانات هى التى تهديها من قارة إلى قارة !

إن الكثير من الأسماك تجتاز الأنهار ، وتتجه إلى المحيط ، وتقطع ألوف الأميال لتبيض بالقرب من الجزر ثم تموت . ولا تخطئ هذا الطريق من ألوف السنين ... وكذلك الطيور المهاجرة .

وفى الأيام الأخيرة تقدم العلماء فى أمريكا إلى هيئات الفضاء يطلبون مساعدتها فى حل هذا اللغز . فقد وضع هؤلاء العلماء راديو ترانزستور فى أعناق بعض السلاحف المائية . ومطلوب من الكواكب الصناعية أن تلتقط إذاعات هذه الراديوهات وإرسالها إلى أجهزة استقبال على الأرض . وبذلك يمكن معرفة مسيرة السلاحف وغيرها من الأسماك والطيور من قارة إلى قارة !

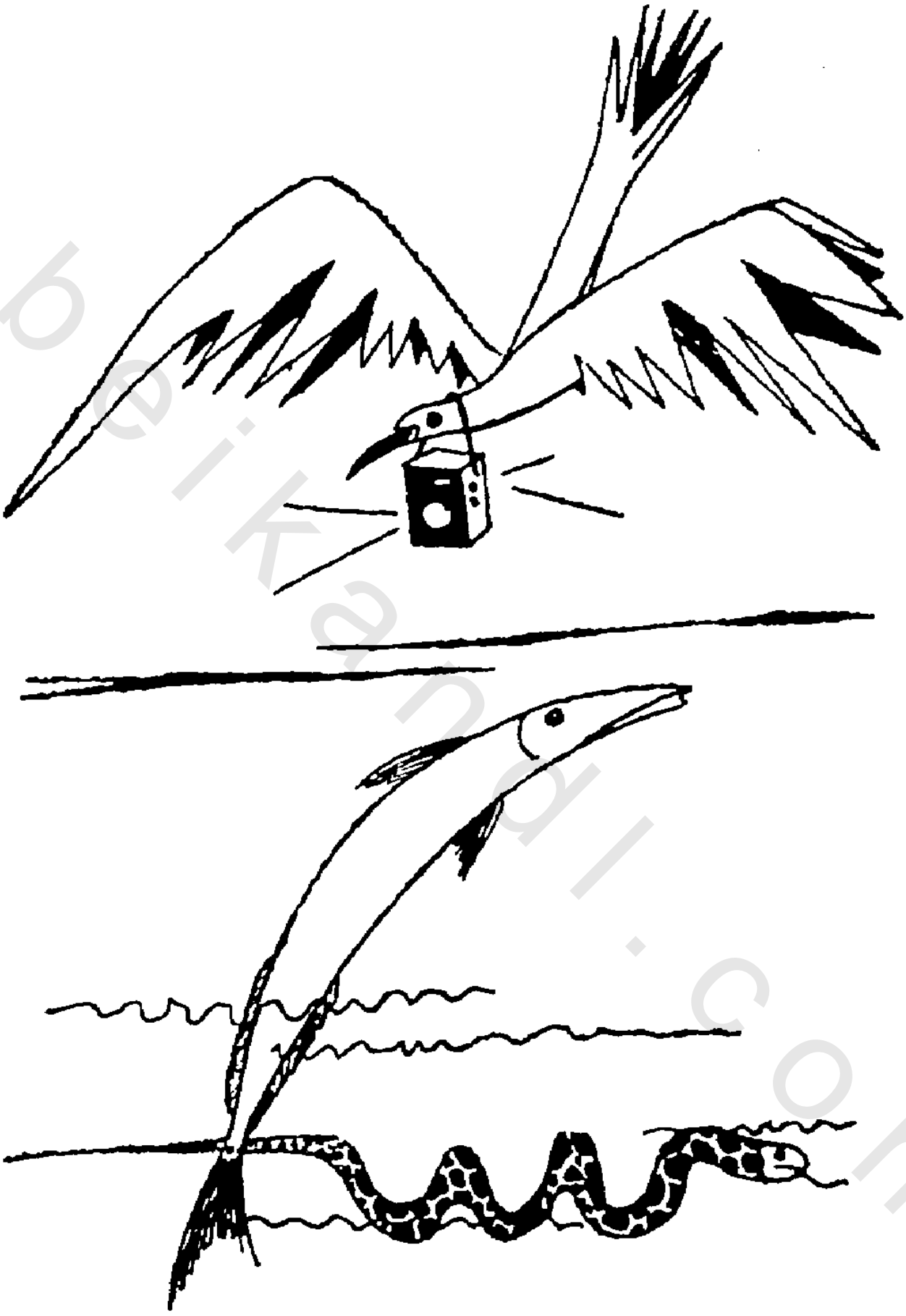

لغز !

obeikandl.com

وقد تتساءل عن كل هذه الملايين التى يدفعها الاتحاد السوفييتى وأمريكا فى إرسال سفن إلى الغلاف الخارجى من أجل أن تعرف كيف تهاجر الأسماك والطيور . والسؤال قديم ووجيه .. ولكن من يدرى ؟ ربما عرفنا سر تركيب الخلية . ربما عرفنا أثر الجاذبية على الخلية . ربما عرفنا سر تكاثر هذه الحيوانات . ربما وفرنا عليها هذه الهجرة المهلكة وخلقنا لها البيئة المناسبة فيزداد عددها بالملايين . وبذلك نساهم فى إطعام الناس .. وربما عرفنا سر تحويل المادة إلى مادة أخرى .. كأن يتحول الماء إلى بترول ، ويتحول الرمل إلى دقيق ، ويتحول الظلط إلى قماش .. وبذلك يختفى الجوع والمرض من العالم .. وبذلك تصبح سفن الفضاء مثل سفينة نوح التى أنقذت الإنسان والحيوان من الطوفان . . وليست الإشعاعات الذرية إلا الطوفان الجديد !

إن الذين استكثروا خمسة الآلاف جنيه التى طلبها خريستوف كولمبوس فى رحلته المجنونة لم يدركوا خطورة الأرض الجديدة التى اكتشفها .

وكل سفن الفضاء ليست إلا سفن كولمبوس إلى عوالم جديدة !

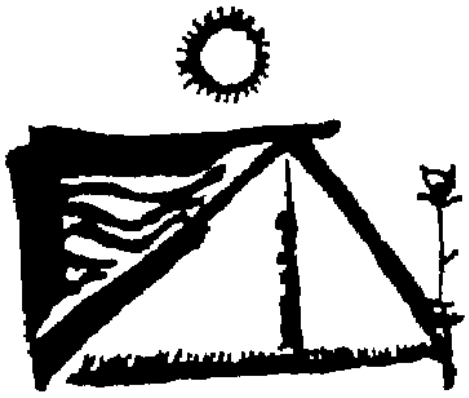

شيء من الصدق

مثل شعبي يقول : «الديك الفصيح فى البيضة يصيح» .

وهذا المثل يتحدث عن الذكاء المبكر ، والنضج المبكر . أى أن الإنسان الذى سيصبح ذكياً ، لابد أن يكون كذلك منذ الطفولة .

وهو ككل الأمثلة الشعبية فيه شيء من الصدق، ولكن ، ليس صادقاً من أوله لآخره . فكثير من الأطفال كانوا شديدى الذكاء ، ولكن هذا الذكاء انطفأ بعد ذلك . إما لأنهم أذكياء فقط فى عيون آبائهم — وكل الأطفال عباقرة فى عيون آبائهم — وإما لأن الظروف والتربية والتكوين قد أخمدت هذه الشعلة المبكرة، وإن كان هناك عدد كبير من العباقرة لم يظهر لهم أى ذكاء مبكر : العالم العظيم أينشتين كان عاجزاً عن الكلام حتى السابعة من عمره ، ولا كلمة . وكان رأسه كبيراً . وكان متفوقاً فقط فى الهندسة والجبر ، أما بقية العلوم فهو أصم أبكم . ولكن فى العشرين من عمره اكتشف نظرية النسبية ..

وفى الستين مهد لاكتشاف القنبلة الذرية .

والمخترع إديسون كان طفلا بليداً غبياً لا أمل فيه ، وقد اخترع المصباح الكهربى وأكثر من مائة اختراع .. ولكن هذا المثل الشعبى لايزال يسعد الناس جميعاً . فكل أب يريد أن يصدق هذا المثل . فهو يستريح جداً إلى أن يقال له إن ذكاء ابنك هو دليل على عبقريته عندما يكون رجلا . .

ويسعد أية أم طبعاً .

وقد اكتشف تجار السينما الأذكياء هذه الحكمة الشعبية فأكدوها للناس بألوان جميلة . ففى كل يوم يأتون بطفل صغير يظهر على الشاشة . طفل فصيح ذكى سليط اللسان . وقد لاحظ هؤلاء التجار الأذكياء أن ظهور طفل بهذا الشكل يهز الصالة وأعلى السينما . ويخنق شبابيك التذاكر .. ولا بد أنهم كسبوا مئات الملايين من وراء الطفلة « شيرلى تمبل » والطفل «ميكى روني » والكلب لاسى والقردة شيتا . وهذه الحيوانات هى صورة من طفولة الإنسان.. وحتى « جيمس دين » عندما ظهر لم يكن إلا شاباً على أعتاب الرجولة . وكان أقرب إلى الطفولة منه إلى الرجولة .

وسوف يظهر أطفال كثيرون يسعدون الآباء والأمهات . مادام الموسيقار موتسارت كان عبقرياً وهو طفل ؛ وعبقريا وهو رجل. . كتكوتاً فصيحاً وديكاً فصيحاً ..

وقد ظهر عندنا أطفال على الشاشة وصاحوا فى البيضة ؛ ولم ينجح منهم إلا القليل جداً . وليس العيب فى البيض ، ولكن العيب فى الكلام والمواقف التى نعطيها للكتاكيت الصغيرة .. إن المخرجين يستخدمون الأطفال فى إسالة دموع الأمهات فقط ؛ فيظهر الطفل ليسأل دائماً : وبابا حيرجع من السفر إمتى يا ماما ؟ ونحن نعلم جميعاً . والطفل طبعاً يعلم ، أن والده قد مات فى الفيلم ....

والحقيقة أن الأب لم يمت ، وإنما هذه الموهبة قد ولدت ميتة !

سلاح المرأة

المرأة تشعر ــ عادة ــ بالضعف أمام الرجل .

وتحاول أن تغطى هذا الضعف بالعلم وبالعمل ، وبالاعتماد على نفسها . فإذا اشتغلت مع الرجل فى مكان واحد ، فهى حريصة على أن تتشبه بالرجل .. أى تستعير أسلوبه فى القوة .

والمرأة تكره ضعفها ، وتكره أيضاً الرجل الضعيف . ولكن المرأة لا تكره أن تكون ضعيفة أمام رجل قوى تحبه ، بل إنها تفضل أن تكون ضعيفة أمام الرجل على أن تكون أقوى من الرجل .

والملكة المصرية حتشبسوت نموذج للمرأة التى أحيطت بعدد من الرجال الضعاف ، فبعد وفاة أبيها الذى كان زوجها أيضاً تزوجت أخاها ، وكان أخوها هذا أخاً بالتبنى ، وكان لقيطاً ضعيفاً ، وكانت تحتقره . وبعد وفاة أخيها هذا تزوجت أخاها الثانى ، وكان أيضاً ضعيفاً جداً ... وازداد احتقارها للرجال . ومات هذا الأخ فتزوجت ابنه ، وكان أضعف أزواجها الثلاثة . وأحست الملكة أنها هى « الرجل » وأن فى استطاعتها أن تحكم الرجال . ولذلك وضعت اللحية وفتحت صدرها ، وشدت ذراعيها ، وصلبت قامتها ، وتقدمت الرجال وأذلت أعناق النساء ، وأقامت لنفسها التماثيل التى تمجدها كرجل ... وأمرت بأن تدفن بين الرجال فى الدير البحرى .

وبعد وفاتها هدم زوجها تماثيلها .. ومسح صورها . وفقأ عينيها فى كل مكان ، حتى إذا ما بعثت يوم القيامة كانت عمياء ....

لقد كانت حتشبسوت معذورة ، لأنها كانت « أرجل » من الرجال والنساء فى عصرها .

ولكن الأديبة الفرنسية « جورج صاند » كانت قوية الشخصية . شرسة ... وكانت ترتدى ملابس الرجال . وكانت توقع فى غرامها كل الشعراء والفنانين فى عصرها . وكانوا جميعاً فى غاية الرقة والنعومة والأنوثة أيضاً .. وكانت تنفرد بهم الواحد بعد الآخر ، ولا تتركهم إلا والدماء تنزف من صدورهم . مثل الموسيقار شوبان والشاعر دى ميسيه وغيرهما .

إن ملكات تجارة التجميل فى العالم دميمات الوجه . ضعيفات البنية ، مريضات ، قد انتقمن لضعفهن النفسى والجسمى بشكل آخر ، وهذا ما فعلته كل من هيلين روبنشتين وإليزابيث آردن ومارى كلير . فقد قررن أن يخربن بيت الرجال ، فيقبل الرجل هذا الخراب وهو سعيد ، فعن طريق أدوات الزينة والتجميل ازدادت أنوثة المرأة وجمالها ، وازداد إقبال الرجال عليها .. ودفعوا الثمن من مالهم ومن أعصابهم . أى أن ملكات الجمال حتشبسوت العصر الحديث قد أضعفن الرجل أكثر من مرة — والرجل سعيد بما يرى ، والمرأة سعيدة بما تجد !

المصافحة .. ألوان

الإحصائيات فى أوربا وأمريكا تؤكد أن عادة السلام باليد أخذت فى الانقراض ، فنصف الناس يرفعون القبعة أو يلمسونها أو يحملونها دليلا على التحية .

أما السيدات فيرفعن أيديهن إلى الرجال لكى يقبلوها . ولأن الرجال لا يرون فى هذه العادة أى معنى كبير ، فإن أكثرهم يستمر فى هذه العادة التى تخفى نوعاً من الملامسة بين الجنسين .

و لم يكن مقبولا من أى إنسان — ولا حتى من الملك نفسه فى القرن الماضى — ألا يصافح أحداً من الناس ، مهما كان السبب .. ولو دخل على ألف رجل يأكلون ويشربون ، فإنه يحرص على مصافحتهم ، ولو أدى ذلك إلى سقوط الطعام والشراب . وهذا ولاشك أهون من إحساسهم بأن الملك غاضب عليهم أو لا يحترمهم .

وكان من المألوف فى ألمانيا مثلا فى القرن الماضى أن تكون المصافحة باليد قوية ناشفة .. ولفترة طويلة . وهذا يدل على المحبة والشوق .. أما إذا جاءت المصافحة رقيقة دون أن تشعر الأصابع والأكف بالقبضة والالتحام ، فهذا دليل على الاستخفاف والاستهانة .

ويبدو أن الشرق قد عدل نهائيًا عن المصافحة باليد .. فى الهند مثلا نجد التحية عملية سهلة جداً .. فالإنسان يرفع يديه إلى صدره ويضمهما معاً فى احترام واضح .. فيشعر ملايين الناس أن هذه تحية عامة وخاصة لكل منهم .. ومن الممكن أن يفعل ذلك واحد مع عشرة ، ولا يمكن أن تفعل ذلك إنديرا غاندى مع ٥٠٠ مليون هندى !

وفى اليابان ليس عليك إلا أن تحنى رأسك وظهرك إلى الأمام .. تفعل ذلك لشخص عدة مرات ، وتفعل ذلك لمليون شخص أيضاً .. فى البيت .. وفى الشارع ، وأحياناً على مائدة الطعام .. فإذا كنت صاحب بيت ثم شكر الناس حفاوتك وطعامك فأنت تنحنى وأنت ــ جالس بدلا من أن تنهض فجأة وتقلب « الترابيزة» على الضيوف .

وأحسن أنواع السلام والمصافحة هو ما تفعله السيدات ، فتتجاور الخدود فى رفق حتى لا يفسد الأحمر والأبيض . وكل واحدة قد أدارت وجهها للناحية الأخرى حتى لا يبدو الافتعال أو التمثيل على وجهها !

وأسخف أنواع التحيات والمصافحات هى الموجودة عندنا فى الوسط الفنى والأوساط التى لها علاقة بالفن كالإذاعة والتليفزيون والمسارح والصحف : العناق والقبلات . . وأكثر الأحيان بين أناس يلتقون لأول مرة . .

أما الشىء الذى لا يطاق فهو أن يقبل الرجال بعضهم بعضاً وفى الفم !

إننى أنتهز هذه الفرصة لأجدد احترامى للهند .. ومحبتى لليابان .

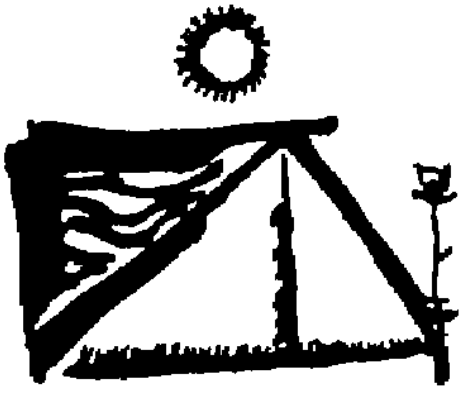

المرأة تنتظر ..

المرأة اعتادت الانتظار ...

انتظار الرجل : ما هى خطوته التالية ؟ .. ماذا سيصنع لها ...؟

والانتظار عند المرأة ليس وقتاً ضائعاً . إنه وقت ملىء بالإحساسات والحكايات ، فالمرأة تنظر مفتوحة العينين على كل شىء ، ومفتوحة الأذنين أيضاً .

والذى تلمحه المرأة فى لحظة ، لا يدركه الرجل فى ساعات .. ولو عرف الرجل ما الذى تقوله النساء إذا جلسن معاً ، لأغمى على أكثر الرجال عقلا ــ لأن المرأة عرفت أكثر مما يتصور الرجل ، ولأنها لاحظت ما لا يدركه الرجل !

وعندما كان الرجل يعيش فى الغابات يقطع الأشجار ويجمع الثمار ويصيد الوحوش ، كانت المرأة فى انتظاره بعيداً مع أطفالها .. وفى سنوات الانتظار اشتغلت المرأة بزراعة الأرض .. واشتغلت بتحويل الأغصان إلى أكواخ . فالرجل يجمع الأعشاب والمرأة تصنع منها العش . والمرأة فى حاجة إلى العش أكثر من الرجل .. لأنها يجب أن تلد ، وأن ترضع طفلها ، وأن تحتضنه ، وأن تربيه ، وأن تمرض قبل ذلك وبعده .

والأسطورة الإغريقية القديمة تحدثنا عن « بينلوب» التى انتظرت زوجها البطل عشرين عاماً . لقد تكاثر الناس عليها يقولون لها إنه مات .. وإنه لن يعود لعلها تختار واحداً منهم . و لم تفعل . وملأت وقتها

بعمل « البلوفرات » وكانت تقول لكل رجل : عندما أفرغ من هذا « البلوفر » سوف أتزوجك .. وكانت الخيوط التى تربطها بالنهار تفكها فى الليل .. وبذلك بقيت مخلصة لزوجها .

ويقال إنها اشتغلت فى تربية الدواجن ، وإنها كسبت مالا كثيراً .. — أى إنها لم تضع وقتها . ولما جاء زوجها قتل كل من حولها من الرجال .

أما « ألف ليلة وليلة » فقد كانت نهايتها أجمل وأعمق . فبعد أن فرغت شهر زاد من حكاية المائة والعشرين قصة فى ألف ليلة طلبت بدموعها من الملاك شهريار ألا يقتلها ، كما هى عادته ، من أجل أبنائها الثلاثة ... أبنائهما الثلاثة . وكانت مفاجأة ، فقد اعتاد الملك أن يقتل كل ليلة فتاة . فلما تزوج شهر زاد استطاعت أن تنسيه هذه الجريمة .. ففى مواجهة شهرزاد للموت راحت تسلى الملك ، وفى مواجهتها هذا المصير المخيف حولته من زوج إلى عاشق .. ودون أن يدرى الملك حولته من عاشق إلى أب ... ثلاث مرات ...

إن شهر زاد — وأى شهر زاد — قادرة على الانتظار .. وقادرة أكثر على أن تملأ فراغها بما يشد الرجل إليها .. إنها لا تضيع وقتها حتى لو تظاهرت بذلك !

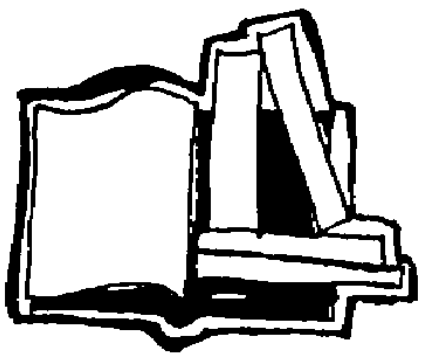

اليوجا علاج

فى مواجهة الانحلال الأخلاقى والانطلاق الجسمى ؛ ظهرت « اليوجا » فى أوربا وأمريكا .

وهو رد فعل معقول وطبيعى .. وفى أوربا وأمريكا موجات صاعدة وهابطة للانحلال الفردى والتفكك الاجتماعى عند الشبان ، فهناك ملايين الشبان يدمنون الخمر ، ويقبلون على الانتحار . وهناك ملايين الشابات يدمن المخدرات . وقد ارتفعت نسبة الأمهات غير المتزوجات فى أمريكا وفى أوربا ، وأصبح من المشاهد المألوفة زفاف العروس وهى حامل!

وأصبح الاستخفاف ظاهرة عامة ، فلا أحد من الشبان يريد أن يكون مسئولا عن شىء أو عن أحد . فأهم مظهر من مظاهر الانحلال ألا يكون الإنسان مسئولا . ألا يكون طرفاً فى قضية مثل الحرية .. أى ألا يكون هو حرًّا ؛ وألا يحترم فى الوقت نفسه حريات الآخرين . أى لا يعرف الحدود .. حدوده وحدود غيره !

وفى مواجهة هذا الانحلال لابد من التفكير فى تشخيص هذا المرض وعلاجه . وقيلت أسباب كثيرة : من بينها التمزق العائلى ، ونقص الشعور الدينى ، وفيض المجلات والإذاعات الجنسية ، والخوف من الموت بالقنابل وبالأسلحة النووية ..

ولكن أسلوباً واحداً من أساليب العلاج كان أسهلها جميعاً . هذا الأسلوب هو « اليوجا » وهو مذهب هندى فى ترويض الإرادة الإنسانية .. فالذى يمارس اليوجا يجب أن يتحكم فى إحساساته وفى

رغباته .. وأن يسيطر على جسمه تماماً . عضواً عضواً . وفى استطاعة الذى يمارس اليوجا أن يتنفس من جانب واحد من الأنف .. وأن يتوقف عن التنفس وقتاً طويلا .. وفى استطاعته أن يمتنع عن الطعام وعن الشراب . وبعض الممارسين لليوجا صفت نفوسهم لدرجة القدرة على قراءة الأفكار وسماعها أيضاً !

وهذه اليوجا أسلوب مثالى .. لأن معناه أن يبدأ الإنسان بنفسه . أى يبدأ بأن يقسوا على نفسه ، وأن يتحكم فيها ، قبل أن يطلب ذلك من غيره . ولو استطاع الناس أن يسيطروا على رغباتهم وعلى شهواتهم وأن « يفرملوا » نزواتهم لتحقق السلام بين الناس وبين الشعوب ..

واليوجا ليست ديناً ، كما أن كرة القدم وكرة السلة والسباحة ليست ديناً من الأديان ، ولكنها جميعاً مناهج منظمة لترويض الجسم والنفس معاً !

وما أحوجنا — الآن وفى كل وقت — إلى تركيب فرامل وصفارات إنذار على نزواتنا وأطماعنا .. ما أحوجنا جميعاً إلى هذه اليوجا !